

مشاهدات كوردستاني رحال في بلاد المقابر والدم والطبيعة والمدن التاريخية ..

في بلاد يوغسلافيا القديمة

بدل رفو

جمهورية البوسنة والهرسك اسراييفو

القسم الاول

انها الساعة الرابعة صباحاً والفجر لم يطل بعد، لكن المنبه يرن وينبه لرحلة طويلة بحافلة عملاقة الى بلاد البوسنة والهرسك وجمهورية كرواتيا وجمهورية (مونتينيغرو) الجبل الاسود. حملت حقائبي للتوجه الى محطة الباصات التي تقع بالقرب من المحطة الرئيسية للقطارات في رحلة من غراتس النمساوية التي عشت فيها اجمل ايام حياتي صوب بلدان لم ازرها بعد ولكني عشت اخبار حربها الدموية، صوب بلاد كان فيها القائد تيتو الرمز لتلاحم ابنائها. انطلقت الحافلة في لحظات حيث الفجر والذكريات يتعانقان، الربيع والبراعم بيتسمان وانا اتطلع الى طبيعة النمسا الرائعة والثلج ما زال على قمم جبالها قبل ان ندخل الاراضي الكرواتية. كرواتيا هذه الدولة الجميلة التي تحمل بين ثناياها طبيعة رائعة وسواحل جميلة وبحرا هائجا، تمكنت وبفترة قياسية ان تبني بلادها لتكون اجمل بلاد الله ومركزا وقبلة للسياح الاوربيين والعالم ايضا باعداد هائلة. عبرنا الاراضي الكرواتية لنطرق الحدود البوسنية. وما بين البوسنة والهرسك وكرواتيا نهر صغير يفصلهما عن بعضهما. دخلنا البوسنة وبعدها دخلنا وادي نهر (فيرباص) وعاد بي الحنين الى الطريق الجبلي في (كلي بالندا) ولون الماء ايضا يشبهه. الطريق اشبه بالخيال والاعجوبة، فلقد رأيت الكثير من الانفاق الجبلية في العالم التي هي من عمل اليد ولكن في انفاق وادي نهر (فيرباص) شئ اخر، فهي طبيعية. لحظتها فكرت مع نفسي وقلت لهذا مثلت اعمال الكاتب الالمانى (كارل ماي) في يوغسلافيا القديمة.

جمهورية البوسنة والهرسك: لقد اعترفت الامم المتحدة بهذه الجمهورية عام 1992، وعدد نفوسها يبلغ 4 ملايين و 625 ألف نسمة وعاصمتها (سراييفو) ونفوسها 305 ألف نسمة، واعلى قمة جبل فيها (ماكليج - 2386 متر)، واكبر بحيرة فيها (بيليجلو - 33 كيلو متر مربع). اما دياناتها فهي (الاسلام 48 بالمائة)، (الارثودوكس 34 بالمائة)، الكاثوليك

15 بالمائة). اهم انهارها هي بوسنا - 271 كيلومتر، درينا - 346 كيلومتر، نيريتفا - 218 كيلومتر، أونا - 214 كيلومتر، فيرباص - 240 كيلومتر.

لغات جمهورية البوسنة هي البوسنية والصربية والكرواتية. اما خط الكتابة فيها فهو اللاتينية والكيريلية. واذا كان للعالم رئيس واحد فلهذه الجمهورية ثلاث رؤساء وهو مجلس رئاسي من مسلم وصربي وكرواتي.

لقد تطورت هذه الجمهورية من الناحية الثقافية والفنية من خلال الامبراطوريات التي غزتها عبر تاريخها مثل الرومان والنمسا والاتراك وتركوا وراءهم تحفاً انسانية رائعة من فن العمارة الاسلامية

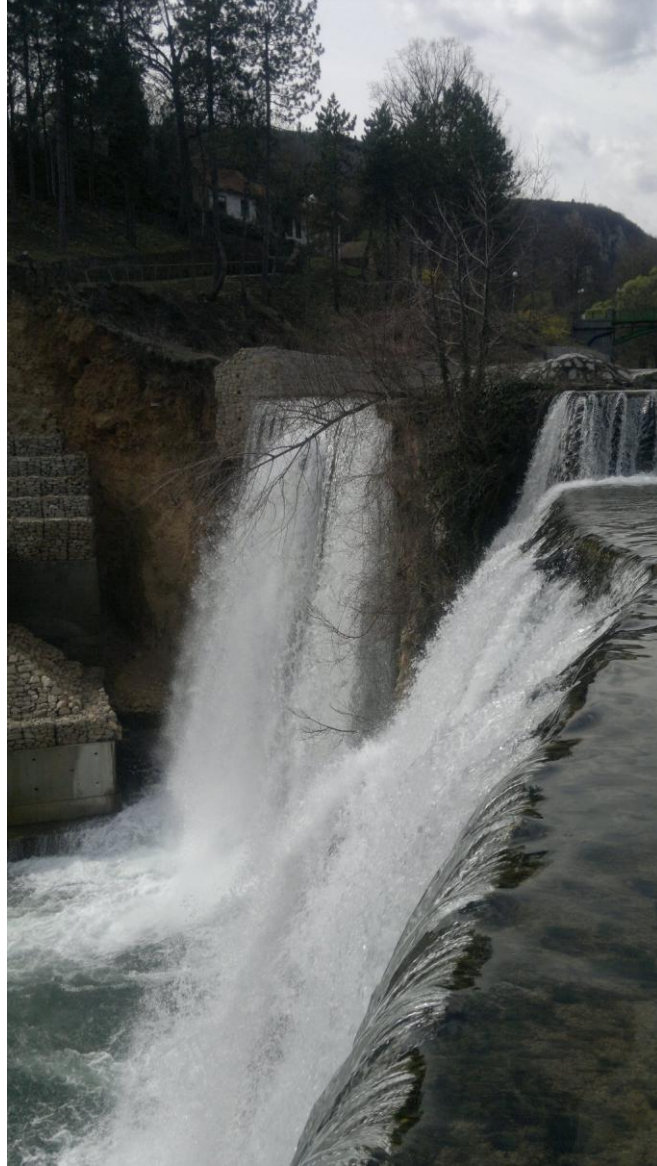
والجوامع. اما الرومان فقد شيّدوا الجسور والشوارع ورسموا المدن على الخرائط في البلقان وتطورت الثقافة والفنون منذ العصور الوسطى. اما الامبراطورية النمساوية فقد ربطت سكك الحديد من سراييفو وريكا بفيننا مباشرة. اما اليوم فالادب والفن البوسني له بصمات واضحة على آداب وفنون العالم من خلال المهرجانات الثقافية والفنية .



قرية بوسنية اسلامية تاريخية

تنطلق الحافلة والمنارات الاسلامية والجوامع على جوانب الطريق. والمحزن للغاية كثرة المقابر وبالشاحصات البيض للمسلمين بين البيوت وقرب الجوامع وبعضها في حدائق البيوت...!!

وصلنا مدينة(بانيا لوكا)وتعني ميناء الفارس والبعض يقول بأنها تعني طمأنينة ميناء الفارس.وتعد هذه المدينة اكبر مدن الصرب في البوسنة وتعد مركزاً مهماً للتجارة والرياضة والثقافة وهي ثاني مدينة في البوسنة من حيث عدد نفوسها الذي يبلغ 225 ألف نسمة. وقبل مائة عام كان عدد نفوسها 13 ألف نسمة ولكن في الحرب الداخلية كثر عددها وكبرت المدينة والتجأ اليها اكثر من 65 ألف لاجئ.لقد تطورت(بانيا لوكا) بوجود الامبراطورية العثمانية فقد سكنها ايضا الاليريين وبجانبهم لعب الكيلتيون دورا مهماً. وفي هذه المدينة حيث الاماكن التاريخية التي كان يزورها العالم قبل الحرب الاخيرة ومنها جامع(فرهاد)الذي تم تفجيره صباح يوم 17ماي\1993 والذي كان يعد تمثالا ورمزاً تاريخياً ومن ارث العالم والإنسانية (اليونيسكو).وفي هذه المدينة تكثر المراكز الثقافية والتماثيل والمسرح الشعبي الصربي والمتحف الوطني الصربي ،اذن هذه المدينة تعد قلعة للصرب في البوسنة والهرسك.



تستمر الرحلة والسفر في عمق الطبيعة ووادي نهر (فيرباص) الساحر حيث على جوانبه البيوت والصيدون يقتاتون من السمك ولغاية وصولنا الى مدينة لمحناها من بعيد، قلعة على قمة جبل وهدير شلال كبير واذا بها مدينة(يايسى). فلغاية القرن 15 كانت هذه المدينة محل اقامة الملك البوسني لما تحمله من جمال خلاب وطبيعة ساحرة وتقع في وسط البوسنة ما بين نهري(فيرباص و بليفا). والمدينة القديمة في يايسى تم ضمها الى قوائم ارث العالم(اليونيسكو) ولحظتها تذكرت مدينة عقرة في كردستان العراق (فلّم لا تضم الى اليونيسكو ايضا؟).

لقد عاشت مدينة يايسى في ظل امبراطوريات كثيرة. اما في زمن الامبراطورية العثمانية والتي صارت تحت سيطرتها عام 1463. نمت المدينة من ناحية التجارة والايدي العاملة وشيدت القلعة والجامع والبيوت وجلبوا اشهر المصممين والمهندسين في فن العمارة. ولقد لعبت هذه المدينة دورا في الحربين العالميتين. ويمكن الوصول اليها عبر احدى البوابتين، بوابة بليفا أو بوابة بانيا لوكا. تكثر المقاهي والمحلات والجامع في مركز المدينة. وهناك تذوقت للمرة الاولى البورك البوسني بالجبن وشهرته قد غزت اوربا. ويقع ايضا برج لوكاس وكنيسة القبر والقلعة ودير فرانسيسكانار. اما الشئ الرائع في هذه المدينة هو الشلال الكبير وهديره الضخم والسلالم التي تقود الى حافة الشلال ومن الجانبين الحدائق.

وكذلك وجود متحف(افنوي)يضيف جمالية اكبر على المدينة لان المتحف تم افتتاحه في زمن تيتو وقد كان عاشق هذه المدينة ومؤسسها الحقيقي.

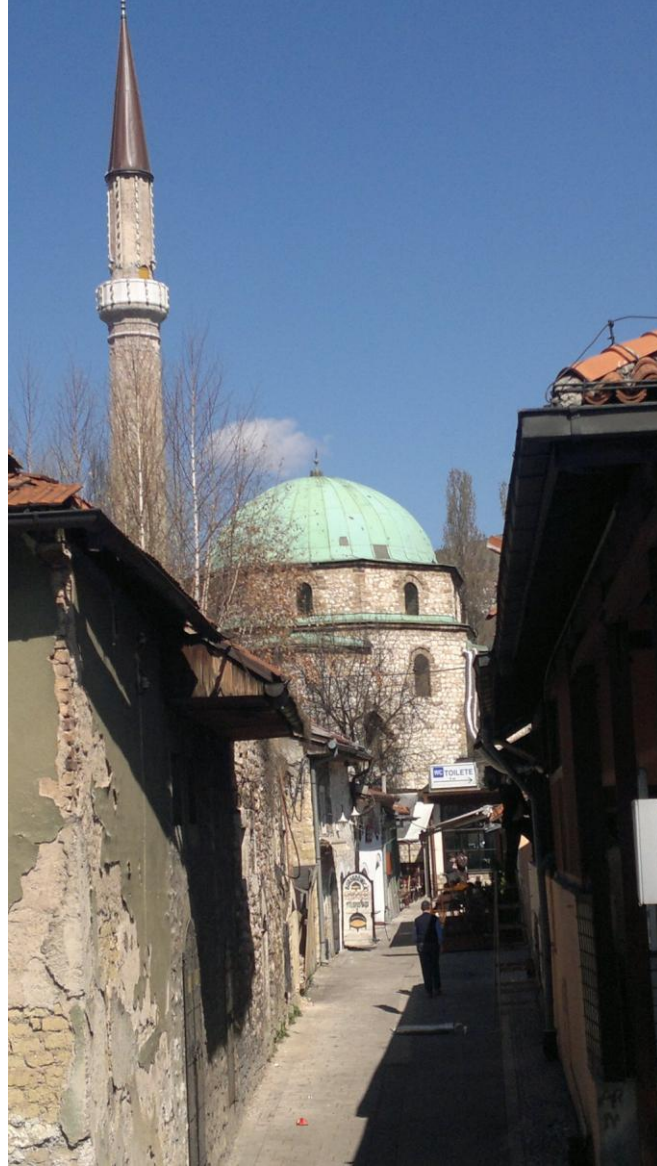
تمضي الحافلة عبر وادي نهر فيرباص والخيال لا يتوقف بل يتسع في وسط البوسنة. عبرنا مدينة (كانو) كي نرقد في مدينة الاولمبياد الشتوية لعام 1984 ،المدينة التي قتل فيها وريث عرش النمسا فرانز فرديناند وزوجته اثناء زيارتهم لها واشعل لهيب الحرب العالمية الاولى.وصلنا سراييفو بعد 12 ساعة بالحافلة ولكن تخللتها زيارات مدن وجولات بين ناسها.وفي سراييفو واول ليلة في البوسنة والهرسك تستمر الرحلة.

القسم الثاني

جمهورية البوسنة والهرسك|سراييفو



منظر للمدينة القديمة سراييفو



احد جوامع سراييفو

سراييفو: تعد هذه المدينة قدس اوروبا حيث الجوامع بجانب الكنائس، هناك اكثر من 400 جامع وكنيسة كاثوليكية ومعبد يهودي وكاتدرائية في هذه المدينة. حين وصلنا سراييفو ليلا اقمنا في فندق (هوليداي) وهو المكان الوحيد الذي لم يقصف حين تعرضت المدينة لأكبر حصار في التاريخ الحديث فقد كان مقراً للصحفيين. يقع الفندق مقابل المتحف التاريخي فقد كان مهتماً من جراء القصف. اما المتحف الوطني فقد شيده النمساويون اثناء حكمهم لسراييفو، بصمات النمساويين والاتراك واضحة على الفن المعماري في سراييفو ، في المدينة القديمة.

سراييفو مدينة محاطة بالجبال الشاهقة وجبل بيلاش الذي يبلغ ارتفاعه 2150 متراً مازالت الثلوج تغطي قمته وقد اقيمت عليه مراكز التزلج على الجليد في الاولمبياد الشتوي عام 1984 . يقابل الفندق ايضاً مقر البرلمان البوسني. ورايت جمهرة من الشباب يفرشون خيمهم ولا ادري ان كان الربيع العربي قد وصلهم ويريدون (اسقاط النظام) أم لا!!.

كان هناك في سراييفو ثلاثة ملاعب لكرة القدم، لكن نتيجة الحصار والموت الجماعي غدت هذه الملاعب مقابر و شاخصات بيضاء تغزو المدينة والقبور في حدائق البيوت وفي مركز المدينة. وآثار الرصاص ما زالت ظاهرة في المدينة و على المباني فقد قتل الالاف من المدنيين جراء الحصار. وكانت المدافع الصربية من فوق الجبال المحيطة بها تقصف الجميع من دون استثناء. أبنية المدينة تحمل الاسلوب الهابسبوركي في فن العمارة والبناء واضحة في قلبها .

كانت سراييفو مركزاً للموسيقى وتقام الان خمسة مهرجانات موسيقية سنوية فيها. جولة في المدينة الم ووجع ورحيل الى اجواء الحرب. مررت بذلك القصر الذي قتل امامه ولي عهد النمسا الارشيدوق فرانس فرديناند وزوجته عام 1914 وعلى اثرها انطلقت الحرب العالمية الاولى. وتفرجت على صورة ذلك الطالب الصربي الذي اشعل لهيب الحرب. في مركز المدينة هناك المتحف الوطني على الاسلوب الفينناوي، وكذلك اكاديمية الموسيقى والمعبد اليهودي الذي شيد في القرن التاسع عشر. والترميم جار لدار بلدية سراييفو وقد تم تشييدها في القرن الثامن عشر بعد ان ارسلت النمسا مصممين الى مصر لتعلم الفن والتصميم الاسلامي لغرض بناء الدار على الاسلوب الاسلامي. لكن الدار احترقت ايضا بنيران الحرب الداخلية ويجري الان ترميمها على تصميم اسلامي فينناوي.

يطل على المدينة برجان كبيران،الاول برج عثماني والثاني نمساوي. دمر البرج العثماني اثناء الحرب. اما النمساوي فقد اخبرني احدهم بان احد الخليجين سيجعله فندقاً ضخماً. و في احياء المدينة اثار الرصاص والدور المنهارة وقد مضى على نهاية الحرب 17 عاما وكأن المدينة تعيش حالة حرب ازلية .

في مركز المدينة حيث شارع التحف وهو شارع السياح ايضا والاعمال اليدوية. يرجع تاريخ هذا الشارع إلى 6 قرون ومن اشهر شوارع سراييفو. فيه تباع الادوات والأرتيزانا اليدوية والفخار من الاقداح والاباريق وفناجين القهوة من الفضة والاعمال كلها من صنع سراييفو.كذلك لوحات من المعدن وفناجين القهوة التركية موجودة بكثرة. وفي مركز المدينة حيث(السبيل) شيد في القرن 16 من قبل العثمانيين وسموه بالسبيل لتوزيع الماء على الضمانين.وبالقرب منه الحمام التركي والخانات القديمة التي كان يرتاح فيها المسافرون التجار والقادمون من الشرق غدت محلات وحوانيت يباع فيها السجاد والملابس اليدوية، وقد شيدت في زمن العثمانيين. وتشبه كثيرا خانات الموصل التي غدت مواقف للسيارات. وهذه الخانات في سراييفو مازالت تسمى بالسراي.في المركز ايضا جامع غازي حسرف وبجانبه جامعة علم الأديان ومنارته يبلغ طولها 27 مترا وفناؤه من الاحجار الكبيرة. وفي وسط الجامع نافورة جميلة. اما توقيت البرج المطل عليه فهو توقيت مكة المكرمة. بعض اجزاء الجامع تم تدميرها في الحرب فلم يبق شئ في سراييفو إلا وعليه اثار الرصاص.



الكاتدرائية الكاثوليكية وعمرها 1200 سنة

جولة في المدينة القديمة ضمت كاتدرائية الكاثوليك احير يوسيس وشيدت عام 1889 وتعد من معالم سراييفو الجميلة ببنائها الجميل وقد اصبحت ايضا في الحرب. وما زالت آثار القذائف على اعمدتها. وحين اقام بابا الفاتيكان قداسه في سراييفو عام 1997 تحدث عن آثار الحروب وكان قداسه حول اعادة الحياة والاشجار الى المدينة والتسامح .

كنيسة (سابرنا سرفكا) هي كنيسة ارثودوكسية جميلة لا تبعد كثيرا عن الكاثوليكية و شيدت عام 1864 وتعد رمزا لفن العمارة. وقد استمر طلاء الكنيسة عامين. وفي احدى ساحات المدينة تماثيل لشخصيات لعبت دورها في يوغسلافيا ومنها حامل جائزة نوبل للاداب(ايغو اندريج 1892-1975)، وكذلك مساحة كبيرة للعبة الشطرنج بهياكل كبيرة .نسبة المسلمين في سراييفو تقدر ب 80 بالمائة .تعد السفارة الامريكية في سراييفو اكبر سفارة امريكية في اوروبا وقد افتتحتها السيدة هيلاري كلينتون العام الماضي.

للحرب قصص وحكايات ومأس في سراييفو فقد قطعت عنها الماء والكهرباء ،لكن الحياة استمرت وحفر الاهالي ابارا في دورهم وكذلك جمعوا مياه الامطار وحتى الثلج في الشتاء كانوا يذيبونه. دمرت الحرب حتى مراكز المسنين وبقيت على حالها ليومنا هذا. ففي الايام الاولى من الحرب كان الصرب يخطفون الرجال ومازال العدد الكبير منهم مفقودين.

النفق...حين كانت المدينة محاصرة من جميع الجهات تمكن اهالي سراييفو من حفر نفق يربط المدينة بالعالم من اجل جلب المؤونة. وحين علم الصرب بقصة النفق تم تدميره ولم يبق منه سوى 15 مترا. صار المكان متحفا يزوره السياح ويلتقطون صورا مع صاحبة البيت التي غدت رمزا للمقاومة في التاريخ البوسني. وفي المتحف تم عرض فلم وثائقي حول الحرب فقد كانت ماساة حقيقية يندى لها جبين الانسانية والعالم.



الكاتب بدل رفو مع احدى بطلات الحرب البوسنية

متحف النفق.. يقع في احدى ضواحي سراييفو، ويمثل تاريخا من حياة هذا الشعب التواق للحرية والدفاع عن انسانيته.



بعد خروجي من المتحف طالعت في وجه المرأة التي تملك الدار والمتحف ،هذه المرأة البطلة التي سيضمها التاريخ البوسني الى صفحاته في سبيل الحرية والتقطت معها صورة، وأنا اتألم لما رأيته في سراييفو... ومنها تستمر الرحلة.

القسم الثالث

جمهورية البوسنة والهرسك | موستار

ودعنا سراييفو بفؤاد مدمى ووجع كبير بما آلت اليه الحرب واثارها على نفسية الانسان ودخلنا الاراضي الهرسكية والطبيعة الجميلة والخلابة ونهر(نيريتفا)والوادي الساحر لغاية وصولنا (يابلانيسا)،حيث الاعداد الكبيرة من المطاعم على جوانب الشارع والمشهورة بشي الخرفان. ورأيت اعدادا من الخرفان معلقة بأعمدة وعلى نار هادئة. تقع المدينة الصغيرة على الشارع الرئيسي وتحت ظلال جبال(جورسينيجا)و(برينج).كذلك تشتهر هذه المدينة بحجارتها الصخرية ،لهذا اكثر النحاتين في البوسنة يستخدمون حجارة هذه المدينة في اعمالهم. لكن شهرة هذه المدينة جاءت من (معركة نيريتفا)حين طلب القائد تيتو تدمير كل الجسور التي تمتد الى موستار كي يعتقد العدو بان الثوار وتيتو قد هجروا المكان. بعد ان حل الظلام عمل الثوار جسورا اصطناعية و تحولت معركة نيريتفا الى عمل سينمائي ضخم قام ببطلته(يول براينر،فرانكو نيرو).وفي عام 1978 تم افتتاح متحف (يابلانيسا)كي يتذكر الشعب احداث هذه المأثرة التاريخية. كذلك شاهدت الجسر الحديدي الكبير ما زال في النهر مدمراً. وقد اصيب المتحف ايضا خلال الحرب الداخلية بالكثير من الخسائر لكن الاموال التي قدمت للدولة من اجل الاعمار كان نصيب المتحف منها ايضا. يعرض المتحف اسماء الثوار والمعركة والالات الحربية. وهناك مدافع امام باب المتحف وفي حديقته ايضا. كذلك امام المتحف وفي جانب النهر قاطرة للثوار و نصب تذكاري لاحدى عبارات تيتو (لا تتركوا الجرحى).بعدها اتخذنا طريق موستار المدينة التي تلتحف باهات الزمن والحرب والوجع الانساني.



جانب من مدينة موستار القديمة

موستار..مدينة الجمال والخيال والعشق والطبيعة الساحرة وعدد سكانها يبلغ 100 ألف نسمة وهي عاصمة الهرسك. جولة في هذه المدينة التاريخية رحلة الى عبق الازمنة والتاريخ. في مركز المدينة يقع جامع(كاردوز بك)وهو الجامع الرئيسي في المدينة وقد شيده محمد كاردوز عام 1557 وجدراناه

من الحجارة السمكية وبتصميم اسلامي عثماني. الهرسك تعني بلاد الارشيدوق وتقع موستار على حافة نهر(نيريتفا) المشهور وجمال لونه الاخضر بعكس الوان الانهار الاخرى يعكس جمالاً على هذه المدينة التاريخية وتسمى بمدينة الطلبة والجامعة والثقافة والسياسة. في هذه المدينة تركت الامبراطوريات والشعوب تراثاً عريقاً من خلال الاختلاط. ومركز الثقل للسياح في هذه المدينة هي المدينة القديمة والأبراج على جانبي النهر. اما الجسر القديم فيعد هوية المدينة القديمة واصالة حضارته العريقة والازفة القديمة والجوامع وكذلك القصر والحمام التركي .

موستار...مدينة الشمس والطبيعة والبراعم وطقس جميل من البحر المتوسط ذو صيف طويل وساخن. فالمعابد اليهودية والكنائس الكاثوليكية والكاتدرائيات الارثوذكسية لها مكانة كبيرة في المدينة. موستار نقطة التقاء الشرق بالغرب فهو المركز الذي يلتجأ اليه الفنانون والأدباء والشعراء للبحث عن رومانسية حقيقية بعد ان ودعت البلاد حروبا طاحنة.



المركز السياحي القديم في موستار

جسر موستار.. يحكي (ستاري موستار) اي الجسر القديم قصة هذه المدينة منذ عقود طويلة. شيد الجسر ما بين الاعوام 1556-1566 وبتصميم ميمار حير الدين في زمن السلطان سليمان وكان طالبا للمعماري التركي الكبير ميمار سينام. يقع الجسر على نهر نيريتفا والجزء الاكبر من الجسر تم تشييده بالتبرعات. طول الجسر 30 مترا على نيريتفا وبدرجات مرمية رائعة ويعد هذا الجسر ملحمة للمصمم. وقد ظل اكثر من 4 قرون محافظا على حاله لكن في 9 اكتوبر 1993 اصيب بقذيفة كبيرة من القوات الكرواتية. وهناك حكاية بان الجسر سمي بموستاري نسبة الى حارس الجسر وكان اسمه موستار.

جسر موستار الحجري يعد ضمن قوائم الارث العالمي الانساني فقد ضم الى اليونسكو. يجئ اليه الزوار من كل بقاع الدنيا، فخرير نهر نيريتفا يمنح الزائر راحة البال والطمأنينة. لكن كابوس الحرب يلاحق الجميع في هذه البلاد ،فلا دار ولا بناية إلا وآثار الرصاص عليها باقية ماعدا البيوت الخراب التي لم يتمكن اصحابها من بنائها ثانية.



بائع بوسني في موستار

تعد موستار من اشهر مدن البوسنة والهرسك وتنتشر فيها الصناعات والحرف اليدوية. وقد تطورت هذه الصناعة في زمن الامبراطورية العثمانية والحرف هي الذهب والفضة والمعدن والحدادة. لقد قال الجيولوجيون بان موستار قد قطنت منذ زمن العصر الحجري. وحكمت موستار امبراطوريات كثيرة. وبعد هزيمة الاتراك على عتبات فيينا حاولوا اقناع سكان موستار بانهم سيعفونهم من الجزية والضرائب ولكن المستاريين انتفضوا ضدهم. وفي حرب عام 1992 انقطعت المدينة عن العالم بعد حرب داخلية. بعدها عقدت اتفاقيات بين المسلمين والكروات لمحاربة الصرب ومازالت اثار الحرب قائمة والبيوت خراب.

في مركز المدينة حيث الازقة الضيقة والارضية الحجرية والجوامع تكثر محلات الصياغة والهدايا والجوامع والمقاهي على الجانب الاخر والمركز ملئ بالزوار والفنانين والحركة لاتنتهي والحلم برومانسية موستار يستمر.

وقبل أن نودع البوسنة والهرسك زرنا المدينة الصغيرة (بوجيتيلي) وهي مدينة شرقية على شاطئ نهر (نيريتفا) واشبه بالحلم وبيوتها على شكل مدرجات ومبنية من الحجر. وعلى قمة الجبل المطل عليها قلعة كبيرة. اما جامع المدينة فهو يعود الى عام 1562 وقد شيده الحاج علي. والطريق الى القلعة يمر عبر البيوت الحجرية والسلام الكثيرة والرومانسية الجميلة وفي الطريق نساء طاعنات في السن تبعن التين والتمر والجوز واللوز للسياح.

حين ودعنا حدود البوسنة والهرسك وعلى قمم جبال كرواتيا كنت المح البوسنة والالام والعذاب والماسي تنقطر منها وحكايات ربما ستردها الاجيال وظلت اثارها لغاية اليوم وربما سنزرع الحقد في

قلوب الاطفال وربما ستتعلم الاجيال كيف ستعيش مع بعضها بحب وسلام وتعايش.ودعت البوسنة والهرسك وحضارات وامبراطوريات الدنيا ابدعوا في تاريخها وعمارته وفنونها ولكن الحرب الداخلية هدمتها من اجل اخماد الهوية .ودعتها بألم ولمحت الجبال البوسنية وانا في الاراضي الكرواتية وقمم جبالها تستمر الرحلة.

جمهورية كرواتيا|مدينة دوبروفنيك

القسم الرابع

دخلنا الاراضي الكرواتية و الامطار تملأ الشوارع. على بعد مئات الامتار من الحدود البوسنية كأننا في عالم اخر. هاهي سواحل البحر الادرياتيكي وهدفنا مدينة دوبروفنيك التاريخية. بالرغم من هطول الامطار الا انها لم تقف سداً في التمتع بالبحر والدور الصغيرة على شواطئه وكذلك القصور والفنادق الضخمة. من بعيد وقبل ان نصل المدينة لمحت جسرا معلقاً واتضح لي بانه جسر(دوبروفنيك د.توجمان)نسبة الى اول رئيس كرواتي في زمن الاستقلال.تحت الجسر يقع بيت طبيب اسنان. ويوم افتتاح الجسر اعترض طبيب الاسنان على افتتاحه لأنه لم يوافق على بناء الجسر فوق داره وعرض عليه مبلغ كبير لغاية موافقته.



المدينة القديمة داخل الاسوار من الاعلي

مدينة دوبروفنيك عدد نفوسها يبلغ 45 ألف نسمة وتقع في جنوب اقليم دالاماتيان في كرواتيا. تسمى هذه المدينة بملكة الادرياتيكي لانها تترك عند الزائر انطبعا رانعا وانبهارا لما يشاهده وخاصة المدينة القديمة التي تقع ضمن اسوار كبيرة. كذلك لها ابواب ضخمة ومن جميع الجهات حفرت الخنادق التي كانت تملأ بالماء في الازمنة القديمة كي تقي المدينة من الاعتداءات واليوم غدت حدائق ورياض الزوار والسياح هدفهم الرئيس المدينة القديمة التي تبدأ حكايتها التاريخية في القرن السابع. هذه

المدينة التاريخية لم تسلم أيضا من قذائف الحرب الداخلية. ضمت المدينة القديمة الى سجلات الارث العالمي اليونسكو وتعد اليوم من اشهر المدن التاريخية القديمة في العالم التي حافظت على اصالتها. حول المدينة القديمة شيد النمساويون شوارع اسفلتية في القرن التاسع عشر. لمدينة دوبروفنيك تاريخ استثنائي فقد كانت عبر تاريخها جمهورية مستقلة. وحين حاول نابليون غزوها حاولت بكل الطرق الدبلوماسية الحل مع نابليون. لقد كانت لقرون مدينة التجارة ونقطة التواصل والالتقاء ما بين الشرق والغرب .



المدافع فوق الاسوار صوب البحر

سور المدينة هو رمز من رموزها وبالقرب من المدينة القلعة القديمة وقد عرضت فيها مسرحية هاملت لشكسبير. هذه القلعة المظلة على المدينة القديمة كانت القوة والجبروت للمدينة. فمن كان يسيطر على القلعة كان بوسعه السيطرة على المدينة. لمدة 400 عام حاول الفينيسيون احتلال شواطئ الادرياتيك ، وكذلك حين كانت الحرب بين الاتراك والغرب، وقفت المدينة في مركز الحياد. لقد كانت البلقان ولعقود طويلة تحت سيطرة الاتراك لكن دوبروفنيك لم تكن يوما تحت سيطرتهم. والمدينة كانت ترى في خطر الفينيسيين اكثر ضراوة من الاتراك. ومن اجل ان تظل المدينة حرة فقد كانت تدفع الجزية للعثمانيين لذلك عرفت وقتذاك بالدبلوماسية. تأثرت المدينة القديمة كثيرا في الحرب الداخلية فقد اصابت القذائف والصواريخ اكثر من 68 بالمائة من البيوت. فالمدينة القديمة تحتوي على 824 بناية قديمة وآثار الرصاص واضحة على بعضها فالبنائيات كلها من الحجارة الكبيرة وارضية الشوارع مرمرية وممنوع دخول السيارات وقد اصابتها 314 قذيفة وفيها 111 قصرا من روائع تحف الانسانية . التهمت نيران الحرب حتى دور العبادة ايضا. وقد تمكنوا وبتقنية عالية ترميم اثار الحرب وصرف ملايين الدولارات. وتم ترميم الشارع المرمرى ونافورة (اونو فريو) التي يتدفق منها الماء

منذ القرن الخامس عشر وتعد احد المعالم المشهورة في المدينة القديمة. كذلك تم إصلاح برج الساعة. اما بيوت المواطنين والكاتدرائية فلقد مدت لهم ايداع عالمية انسانية من اجل الحفاظ على هذا الارث الانساني.



القلعة التي تواجه دوبروفنيك القديمة

لمدينة دوبروفنيك القديمة 4 ابواب. احد الابواب يطل على ميناء البحر وكان مصدر التجارة، من خلاله يجلب التجار السيراميك والتجارة لاهالي المدينة كانت العمل الوحيد اضافة الى الصيانة والمعادن وبناء السفن. في الميناء مشفى تاريخي قديم لفحص القادمين من الشرق وابقائهم 14 يوما في المشفى لحين الانتهاء من الفحوصات قبل دخولهم الى المدينة. شيد الميناء في القرن 15 وكان اهم نقطة للدفاع عن المدينة، وحجارتة تزن اطنانا. واليوم تقف طوابير من الزوارق والقوارب واليخوت على شاطئه. الباب الرئيس يؤدي ايضا الى اعالي السور. بالقرب من الباب ونافورة اونو فريو تقع كنيسة (ركفا سفيتوك سبابا) والتي شيدت ما بين الاعوام (1520-1528) والتي تعد احدى البنايات القلائل التي ظلت بعد ان اصبحت بالزلزال عام 1667. تم بناء هذه الكنيسة على اسلوب عصر النهضة. امام الكنيسة تمثال صغير يبرز من حائط الكنيسة فمن يقفز على التمثال ستتحقق امانيه وقفزت انا ايضا ربما ستتحقق احدى الأمنيات!!!



بدل رفو امام بوابة واسوار المدينة القديمة

في المدينة القديمة متحف(دير فرانسيسكانار). للمتحف بوابة جميلة ويحكي عن جمالية فن التماثيل والمنحوتات في اقليم دالاماتيان في زمن الرومانتيكية المتأخرة. الاعمدة الكبيرة في المتحف هي موضع الدهشة والانبهار للزائر. اما برج الساعة فقد تم انشاؤه عام 1444 ويمنح ساحة(لازو)هيبة وجمالا وقوة. وتم ترميمه اكثر من مرة... واخر مرة تم ترميمه كان عام 1929. واللافت في هذا البرج تماثلان يدقان الجرس كل ساعة وصدى الجرس يملأ المدينة القديمة. الزائر للمدينة القديمة دون ان يتمشى على سور المدينة كأنه لم يزر المدينة. هذه الاسوار تحكي اجمل لحظات الحياة وخاصة حين تعكس الشمس شعاعها في البحر. لقد استغرق بناء السور من القرن الثالث عشر ولغاية السادس عشر. ولحد هذه اللحظة حافظ على متانته وقوته ووقف سدا امام اعنى الامبراطوريات والغزوات. في القرن الرابع عشر تم بناء الاسوار بسماكة اكبر. وفي القرن الخامس عشر صدت الاسوار هجومات الاتراك وتم تقوية الاسوار اكثر وأكثر. واليوم يبلغ طول الجسر كيلومترين وارتفاعه 25 مترا. وبعض الاحيان تبلغ سماكة السور 6 أمتار. ومن فوق الاسوار نظرة الى المدينة القديمة والبحر الادرياتيكي والتمتع بمنظر الغروب والتاريخ والرومانسية...وتستمر الرحلة

القسم الخامس

مدينة دوبروفنيك الق الماضي والتاريخ ورمز الرومانسية وفن العمارة



مركز مدينة دوبروفنيك القديمة

مدينة دوبروفنيك القديمة عرضها 400 ويبلغ عدد نفوسها الان 900 نسمة. شيدت المدينة الجديدة خارج اسوار المدينة القديمة والتي يبلغ نفوسها مع القديمة 45 الف نسمة. تحتوي المدينة القديمة على ازقة ضيقة للغاية وبأسلوب معماري مميز ماعدا زقاق واحد عريض سمي بالزقاق العريض، ويقع فيه متحف جميل، في مركز المدينة الساحرة، حيث السلالم الاسبانية الحجرية، ويطل على سوق الفلاحين وهم بملابسهم الشعبية التراثية وكأننا في العصور القديمة. وهذه السلالم تؤدي الى كنيسة شيدت على الاسلوب الباروكي. وفي ساحة الفلاحين ينتصب تمثال شاعرهم (كوندوليجا) المدافع عن حرية المدينة والانسان .



مدينة دوبروفنيك داخل الاسوار

في القرن الخامس عشر تم حفر نبع كبير يبعد عن المدينة 12 كيلومترا من اجل أن يزود نافورة(اونو فريو)بالماء والتي يعدونها احد رموز المدينة المهمة.

مدينة دوبروفنيك تسمى من قبل البعض بمدينة المهرجانات والاحتفالات والموسيقى. لهذا وجدت فرقاً موسيقية شابة تعزف الموسيقى في مركزها المزدهم بالسياح. منذ عام 1950 وخلال الشهرين السابع والثامن تقام في هذه المدينة وعلى مدى خمسة اسابيع متتالية مسرحيات وكونشيرتات موسيقية وحفلات رقص في مسارح في الهواء الطلق. وتفتتح هذه المهرجانات باطلاقات نارية واهازيج. يمكن السفر من هذه المدينة الى عدة جزر تحيط بها وكذلك الى مدن بعيدة ومنها الى جزيرة(مبيت، لوكوم). كذلك يمكن السفر بالسفن الكبيرة لانها تشرف على ميناء ضخم. وصدفة وقع نظري على سفن مكتوب عليها باللغة العربية ومنها السعيد وفلك السلامة وحين سألت احدهم عن اصحابها فاجاب بأن هذه السفن ترجع لشيوخ من الخليج!!.

لنرجع الى البوابة الرئيسية(بيلي)... هذه البوابة الضخمة تم الانتهاء منها عام 1537. ما بين البوابة والجانب الاخر خنادق مياه ويربطهما جسر خشبي. في الليل يرفع الجسر وتقف البوابة ويسلم مفتاح البوابة للامير.

تم بناء المدينة القديمة من دوبروفنيك على اسلوب عصر النهضة. فالسياحة فيها وبين ازقتها الضيقة التي تشبه المتاحف والمعارض التشكيلية والمحال والمقاهي الجميلة تمنح الطمأنينة للروح. في احد الازقة آثار الحرب الاخيرة وصورها الوثائقية معلقة على حيطان مركز البريد والحريق الذي التهمه. حين انطلقنا من البوسنة لقضاء ليلة في دوبروفنيك، فكرنا ربما ستسبينا دوبروفنيك مآسي البوسنة وأوجاعها. لكن وجع الحرب في كل زاوية ومكان وهذا ما وجدته في احدى صالات بناية قديمة وقد صارت متحفا صغيرا لضحايا الحرب وعلقت على جدرانه صور قتلاهم الذين دافعوا عن المدينة ضد صربيا التي كانت ومنذ قرون هدفها بناء صربيا الكبيرة. لهذا حاولت في الحرب الاخيرة محاربة الكروات والمسلمين. كذلك توجد في الصالة شاشة تعرض فلما وثائقيا عن الحرب والحرائق التي اصابت المدينة التي تعرضت لعدة اشهر الى حصار من قبل القوات الصربية. لذلك فالشاشة والصور يعرضان جزءا من تاريخ هذه المدينة في المقاومة والدفاع عن النفس. ينتصب تمثال(رولاند)والذي يشبه عند الكروات بتمثال الحرية في مركز المدينة القديمة كرمز من رموزها. كذلك توجد اقدم صيدلية في التاريخ القديم(فرانسيسكانار)التي افتتحت عام 1377 ومازالت ابوابها مشرعة وتعد من ارث العالم .

قبل الدخول الى المدينة القديمة، وفي شارع على شاطئ البحر حيث تقع اشهر القصور الضخمة والتاريخية، وعند باب المدينة رأيت شابين وهما يحملان امتعتهما وهما طالبا علم يتجولان في العالم وبعدها يرجعان الى بلدهما لسرد ما شاهدوه في رحلتهم . مدينة دوبروفنيك القديمة بحاجة الى كتب لوصف كاتدرائياتها وكنائسها وفن عمارتها والازقة القديمة التي تشبه المتاحف.

بعد خروجي من المدينة من الباب الرئيس، وبعد سباحة على سورها الرائع والتمتع بالغروب وانعكاسات الشمس على ابنية المدينة القديمة والبحر ومرح الاطفال وفرح السياح، جلست في مقهى(دوبرافكا)وقد شيد عام 1836 على شاطئ البحر وحسنا تجلب لي قح ماء وقهوة، والمقهى يقع بين المدينة القديمة والقلعة المطلة عليه مع نفحات هواء باردة قادمة من البحر..ياترى أهي نفحات الشرق وسلام الاحبة؟ أم نفحات التاريخ القديم ومدنه وهواء الحرية؟

لم تقدر دوبروفنيك ان تنسينى آلام وماسي سراييفو وموستار وانا اعد نفسي للسفر في اليوم التالي الى بلاد الجبل الاسود(مونتينيغرو)بلاد اكبر مهرب سجانر في اوروبا قاد بلاده الى الاستقلال(جوكانوفيج)وبلاذ الجبال السوداء الشاهقة والتاريخ القديم والبحر الهائج. ومن شواطئ البحر الادرياتيكي وحلم التاريخ الجميل ورومانسية البحر تستمر الرحلة.

القسم السادس

جمهورية (مونتينيغرو)الجبل الاسوداكوتور

اكبر مهرب للسجانر في اوروبا يقود بلاده الى الاستقلال

ودعنا المدينة التاريخية (دوبروفنيك) في كرواتيا ولكن ليس وداعنا مع كرواتيا ،ولاننا سنرجع لها ثانية قوة ومركز ثقل الرحلة ينتظرنا في كرواتيا..وعلى سواحل الادرياتيكي ورومانسية البحر دخلنا الاراضي المونتينيغرية ، الجبال السوداء تنتظرنا والبحر الثائر يختلف اختلافا كليا عن هدوء البحر في كرواتيا.



متحف الملك نيكولاوس في مدينة ستينى

جمهورية مونتينيغرو او (كران كورا) وهذا يعني في تاريخ المدينة القديم (الجبل الاسود) او سلسلة الجبال السوداء. لقد حصلت هذه الجمهورية الشابية على استقلالها وانفصلت عن جمهورية صربيا عام 2006 ،فقد كان البلقان تحت سيطرة الاتراك لمدة نصف قرن وفي القرن السابع عشر حصلت هذه الجمهورية على الحكم الذاتي ومن عام 1910 لغاية 1918 كانت مملكة ويحكمها الملك (نيكولاس) من مدينة (ستينى).



اعلام وادوات الحرب للامبراطورية العثمانية في متحف الملك نيكولاوس

لقد حاربت الاتراك بمساعدة روسيا وكانت روسيا تقف معها دائما في حروبها. جمهورية الجبل الاسود المستقلة اصغر بكثير من مدينة دهوك في كوردستان الجنوبية بقصباتها ومدنها الصغيرة. تملك الجبل الاسود طبيعة خلابة وثقافة ثرية وتماثيل فنية رائعة ويقع الجزء الاكبر من البلاد على سواحل البحر وتمتد جماليتها ما بين امتداد سواحل البحر مع عادات الفينيسييين. تعد الديانة الارثودوكسية الاكبر في البلاد وتليها الاسلامية و يعيش المسلمون في مدن معينة في الجنوب الشرقي ويروي تاريخ هذه الجمهورية ان رجعا الى القرن 12 بانها قد خاضت حروبا ضد كل من البيزنطيين، الفينيسييين، راکوزانا، الاتراك، النمساويين، الايطاليين، الالبانيين.

حدود هذه الجمهورية البوسنة والهرسك من الغرب، صربيا من الشمال، كوسوفو والبنانيا من الشرق. واما اكبر مدنها هي: (بودوكوريجا - 173 ألف نسمة)، (نيشيج - 70 ألف نسمة)، (بيجيلو - 62 الف نسمة)، (بيراني - 38 ألف نسمة). يبلغ عدد نفوس الجمهورية 658 ألف نسمة ومنذ عام 2004 النسبة الكبيرة من المواطنين تقطن في المدن الكبيرة. يتكون شعب الجمهورية من 43 بالمائة من المونتينيغريين و 32 بالمائة من الصرب و 15 بالمائة من البوسنة والكروات و 7 بالمائة من الالبان واما اللغة ف 92 بالمائة يتحدثون المونتينيغرية و 7 بالمائة الالبانية، وتقريبا 68 بالمائة من الديانة الارثودوكسية و 22 بالمائة من المسلمين وخاصة هم مسلمو البوسنة والبنانيا و واحد بالمائة من الكاثوليك الكروات.

اللغة والكتابة: اللغة الرسمية في البلاد هي المونتينيغرية (الصربية) فهي لغة الحديث للجميع واما في المدن الالبانية فاللغة الالبانية هي اللغة الثانية وفي الوقت الحاضر هناك خطان للكتابة وهما: اللاتينية والكيريليشية.



اثار قديمة في جزيرة صغيرة في الجبل الاسود

في 2006\6\3 حصلت هذه الجمهورية على استقلالها واصبحت عضوا في الامم المتحدة والنااتو وفي بداية القرن العشرين كانت من اجمل البلدان للسياحة وبعد انتهاء الحرب الداخلية جرت حملة بناء واعمار شملت كل مفاصل المجتمع ولكن بعد حصولها على الاستقلال اختلف الامر كليا فالسواحل امتلأت بالفنادق العملاقة والاهتمام بنظافة الشواطئ والمدن التاريخية بالرغم من قلة السواح الاوربيين الا ان نسبة السواح الروس والعرب كانت كثيرة .

لقد كانت الاستراحة الاولى لنا والسكن في احدى الفنادق في ساحل (بيجيبي) من اجل ان ننطلق في اليوم التالي برفقة حافلنا الضخمة لاكتشاف منابع الجمال وسحر جبالها السوداء وقراها ومدنها التاريخية وفي اليوم الاخر وبالرغم من سوء الاحوال الجوية انطلقنا من ساحل (بيجيبي) صوب خليج (كوتور) والى مدينة (كوتور)..مدينة السحر والتاريخ والجمال.



ازقة مدينة كوتور الضيقة

مدينة (كوتور):لقد ضمت هذه المدينة التاريخية عام 1979 الى سجلات الارث الانساني اليونسكوم،سياحة في هذه المدينة انطلاقة الى روح التاريخ والجبال المطلة عليها تبلغ ارتفاعها 1900 متر ويبلغ عدد نفوس المدينة 23 الف نسمة وفيها تقع الكاتدرائية الكاثوليكية واما ساحل (كوتور) فيعد من السواحل الجميلة في البلاد وقد كانت المدينة تحت سيطرة النمساويين منذ عام 1797 لغاية الحرب العالمية الاولى.

المدينة القديمة عمرها 2000 عاما وهناك تروى الملاحم حول بطولات هذه المدينة حيث كان القراصنة يصوبون فوهات مدافعهم صوب القلعة ولكنهم لم يتمكنوا من احتلالها وكانت قبلة المدافع الكوتورية صوب البحر. للمدينة القديمة بوابة كبيرة وفي الساحة الرئيسية تقع الكاتدرائية الكاثوليكية وعمرها 1200 عاما وعند بوابتها تباع الهدايا التذكارية وصور المدينة. الازقة الضيقة وجماليتها تحتل مكانة في المدن القديمة كلها والاسلوب الفني المعماري يبرز على شرفات البيوت واما القلعة فكان مكان اقامة (البيشوف - المطران) وفي مركز المدينة يقع متحف المدينة الموسيقي والذي تاسس عام 1842. كذلك تقع الكاتدرائية الارثودوكسية في احدى ساحات المدينة وعمرها اكثر من مائة عام وشيدت عام 1902-1909. تمتلأ المقاه والمحلات والمطاعم ويمنع ايضا دخول السيارات والعجلات الى المدينة القديمة والمدن القديمة عادة تكون مركز الثقل للسواح والمدينة تطل على شاطئ ملئ بالقوارب ومنها تنطلق الى الجزر ورحلات بحرية وليس لها شاطئ سباحة وكذلك تحت ظلال سور المدينة القديم يقع سوق الفلاحين ودهشت حين رايت في المدينة القديمة امام دائرة البريد صندوق بريد عملاق وكالعادة باللون الاصفر.في المدن القديمة الزمن يمضي بسرعة والعين لاتتعب من

الاستمتاع بتاريخ المدن وفن العمارة واساليب البناء والاسوار الكبيرة التي تحيط بها ولكن الهدف يستمر الى قمة الجبل.

اكبر مهرب للسجائر في اوربا يقود بلاده الى الاستقلال

(ميلو دوكانوفيتش)القائد الذي حكم الجمهورية لغاية 2010، كان يعد اكبر مهرب للسجائر في اوربا ومازالت الاحكام القضائية تلاحقه في كل من ايطاليا والمانيا. لكنه يقود بلاده الى الاستقلال بعد ان حمل قضية شعبه الى الامم المتحدة وتقرر الامم المتحدة استفتاء حول مصير هذا الشعب التواق للحرية والاستقلال وبالرغم من ان النسبة لم تكن كبيرة فقد صوت 55 بالمائة للاستقلال، وبهذا يدخل المهرب جوكانوفيج تاريخ بلاده من مهرب سجائر الى بطل قومي. فمتى سيحمل زعماء الكورد قضية شعبهم الى الامم المتحدة من اجل الاستفتاء على الاستقلال؟؟؟ومن الطريق صوب قمم الجبال السوداء تستمر الرحلة.

القسم السابع

جمهورية (مونتينيغرو)الجبل الاسود اجبال لوفسين

بعد ساعات من الاستمتاع بالمدينة القديمة واسوارها وقصورها التاريخية، سلطنا طريق سلسلة جبال (لوفسين). السفر الى القمة يمر عبر منعطفات كبيرة للجبل، مررنا بأكثر من 25 منعطفا. الشارع الذي يؤدي الى القمة شيده النمساويون اثناء حكمهم للبلاد. ونظرة الى ساحل (تيفات) وخليج كوتور والجمال الرائع وصفاء البحر، وكذلك نظرة الى مطار تيفات والى جزيرة الورود من الاعالي تمنح النفس جمالية المكان والامان والهواء الحر. مررنا بشارع جبلي ضيق الى القمة. حين سارت حافظتنا العملاقة في الشارع الضيق الجبلي لأول مرة احسست بالخوف على قمم الجبال والانفاق الطبيعية التي تشبه المغارات والكهوف. وان اخطأ السائق مليما واحداً، في عبوره جسرا معلقا على سفوح الجبال، لكنا في عالم اخر. وقتها تذكرت والدتي وهي تقول لي دائما: مالك والسفر يا ولدي فيكفيك ما رايت من الدنيا. واتذكر صديقي الاعلامي الجميل خدر خلات حين كتب لي من محبته الكبيرة: بشرفي لو تمت وبعد عمر طويل فلا تندم على حياتك. وتذكرت قول شاعر الانسانية الكبير (بابلو نيرودا) وعبارته المشهورة (اعترف بانني قد عشت حياتي). اما انا اردد قول نيرودا ثانية واقول اعترف بانني قد عشت حياتي ايضا. حين وصلنا قمة الجبل تحدثت مع السائق وقلت له: ألا تخشى من هذه الطرق؟ فاجابني بضحكة جميلة: ان علمت لا مفر فساضغط على البنزين واغمض عيناى. والحمد لله وصلنا القمة بسلامة.



قرية نيكوشي التاريخية على قمم جبال لوفسين

وصلنا قمم جبل لوفسين، وإذا بقرية رائعة حجرية عليها وكانت المفاجأة الكبيرة لنا وإذا بها قرية (نيكوشي)، قرية متشحة بالجمال والطبيعة. تجولت بين دور القرية وكانت في جمالها وبنائها اشبه بقرية (تسادا) التي وصفها الشاعر الكبير رسول حمزاتوف كثيرا لانها موطن ميلاده. اما هذه القرية فهي موطن الشاعر المونتينيغري الكبير (بيتر الثاني نيكوشي)، وما زال في القرية بيته حيث جلست قبالته متناولا وجبتي السفرية. اما ضريحه الذي يلتجئ اليه الزوار فقد كان على قمة اخرى من لوفسين. وقد قام بتشييد الضريح فان كرواتيا والعالم النحات (ايفان ميستروفيتش) ما بين 1971-1974. وعدها مررت على مطعم ومقهى جبلي في القرية وإذا به اشبه بمتحف جميل جمعت فيه الرايات والصور لابطال يوغسلافيا السابقة وصورة ضخمة للقائد تيتو. جلست كي انال قسطا من الراحة وبعدها تحدثت معي القرويون. وحين اخبرتهم باني كوردي ومن كوردستان وقف الجميع ليشرّبوا نخب كوردستان وفرحوا وقالوا: هذه المرة الاولى نلتقي وجها بوجه مع كوردي هنا في هذه القرية. قرية نيكوشي مشهورة بالجبن وشراب بروشت وكذلك باللحم المملح من فخذ الخنزير... لحظات جميلة وقرى تاريخية في سجل الانسانية. ومنها حيث مسيرة الجبل تستمر لغاية وصولنا الى مدينة الملك نيكولاوس مدينة (سيتيني)، التي اشتهرت كثيرا ما بين الاعوام 1910-1918 حين اصبحت البلاد حرة وكان يحكمها الملك نيكولاوس. مررنا بشارع المدينة الرئيس وإذا بنا نرى سفارات الدول وشعار النمسا على سفارتها القديمة قبل اقل من قرن. هذه المدينة تقع بعض الشيء على قمم جبال لوفسين وهي سلسلة الجبال الرئيسية في الجبل الاسود والتي تقع حول مدن كوتور، بودفا، ستيني وتقع هذه السلسلة بين السواحل الادرياتيكية وساحل كوتور.

مدينة ستيني يبلغ عدد نفوسها 17 ألف نسمة وفيها تأسست اول مطبعة في البلقان اسسها (ايفان سيرنوفيتش)، وكانت مدينة الملك. ويوجد في هذه المدينة اكااديمية الفنون للرسم والتمثيل. تحيطها الجبال من جميع الجوانب. وفيها مركز المدينة الرومانسي والازقة الضيقة وفن العمارة الذي يختلف عن المدن الاخرى لكونها ارتبطت بالعالم وكانت مدينة الملك في زمنها المحرر. الكنيسة الارثوذكسية ذات طابع

جميل ومميز بالرغم من صغرها ،لكنها تحمل بين ثناياها الصالات الصغيرة واللوحات التشكيلية الدينية. وتكثر فيها المنتزهات والرياض وكثرة الورد فيها يجعلها محطة استراحة للمسافرين .

متحف الملك نيكولاوس .. غدا قصر الملك نيكولاوس متحفا جميلا يمثل الان وجه المدينة الحضاري. سنحت لي الفرصة بزيارة المتحف وقصر الملك الذي يكن الشعب له كل الاحترام. يقع في طابقين وكل طابق يحتل مساحة كبيرة من حيث عدد الصالات. في الطابق الارضي يعرض تاريخ البلاد والغزوات التي تعرض لها من خلال عرض بعض ممتلكات العثمانيين وعلمهم نصر من الله وفتح قريب. في احد المعارض يقع مكتب الملك المتمثل بكرسيه ومنضدته وكذلك سيوفه والعملية الورقية التي استخدمت في زمنه. و يعرض المتحف بصورة خاصة ممتلكات الملك. بالاضافة الى الطابق الاول حيث صالة الاكل وغرف النوم والضيوف والشئ المميز جودة الاثاث ولوحات الملك والعائلة المالكة ... يعرض المتحف تاريخ حقبة مهمة من تاريخ الجبل الاسود في عصر الملك.

بعد خروجي حصلت على الموسيقى الشعبية من الجبل الاسود. فزيارة لهذا المتحف تعني زيارة الى تاريخ ستينى.بعدها انطلقنا عبر الجبال السوداء وبين قراها الحجرية وقلاعها التي شيدها الامبراطورية النمساوية. اتخذنا الطريق الى اسفل السلسلة كي نصل مدينة بودفا التاريخية التي تتالف من انسجام بين القديم والحداثة ...الى سواحل البحر،الى بودفا ومن جبال لوفسين تستمر الرحلة.

القسم الثامن

بودفا وبار واولسين مدن الجبل الاسود التاريخية وقلب السياحة

انطلقت الرحلة من الجبال الشاهقة الى البحر والسواحل ومدينة تاريخية تحيطها بها الاسوار وتطل عليها القلعة بشكل بارز وهي مدينة (بودفا). تعد هذه المدينة ضمن سجلات الارث الانساني (اليونيسكو)وكذلك قطعة من قلب السياحة في الجبل الاسود. شيدهت المدينة القديمة من (بودفا) بأسوار عالية وتحمل قلعة كبيرة وكاتدرائية كاثوليكية. وآخر اعمال الاعمار كانت على ايدي الامبراطورية النمساوية وخاصة جزء من القلعة.

تقع (بودفا) على ارض غير آمنة فقد اصابها الزلزال عدة مرات كما في الاعوام 1667،1979،ومات عدد كبير منهم جراء الزلازل.في الساحة الرئيسة تقع محلات الزينة والجواهر الفينيسية.سور المدينة مربع ولكنه غير متساوي الاضلاع. ففي الجانب الجنوبي يتصل بالكنيسة والقلعة . كان يوجد في المدينة بابان، الباب الرئيس وباب البحر. هذا الباب يطل على الميناء وبعد خروجي من الباب شاهدت قوارب وسفنا ويخوتا وميناء مزدحما بالحركة. الفنانون يبيعون لوحاتهم على ارضفة الميناء والموسيقيون يغنون ويعزفون. في المدينة القديمة تكثر المقاهي وحوانيت لبيع الهدايا والتذكارات للزوار.اهم ساحة في المدينة القديمة هي التي تقع فيها الكاتدرائية حيث شيدهت من زمن الفينيسيين، لكن الزلزال عام 1979 اصابها ودمر الجزء الكبير منها. من ساحة الكنيسة سلالم تؤدي الى مدخل القلعة وهي من زمن الفينيسيين ايضا.متحف المدينة يسرد تاريخ المدينة ويعرض الاقداح والزجاجيات الرومانية ولوحات وكذلك المعدن والسيراميك اليوناني ويعرض معروضات ذهبية وفضية والملابس والأدوات المنزلية من القرن 19 وأوائل القرن 20. مدينة (بودفا) القديمة تاريخ من فن الاعمار والبنائيات الجميلة والفنون

بعد جولة رائعة سلطنا الطريق صوت ساحل (بيجيجي) الذي يقع في جنوب (بودفا). وهذا الساحل له شواطئ رملية ويقع فيه سكننا كي نكمل مسيرة الرحلة بين الجبال السوداء وزيارة المدن التاريخية. الطريق الى مدينة (بار) متعة على شواطئ البحر والتمتع بهيجانه. مررنا بجزيرة صغيرة وعلمت بأن كبار الفنانين والسياسيين في العالم زاروها. لمحنا مدينة قديمة بأسوار عالية من بعيد وحين اقتربنا كانت مدينة (بار). خلال زقاق ضيق وعبر المقاهي الشعبية التي ذكرتني بمقاهي الشرق يجلس الرجال وحدهم ويلعبون الدومينو. على جانبي الزقاق محال لبيع التحف وبطاقات بريدية. توجهنا الى البوابة الرئيسية للمدينة القديمة التي تبعد 4 كيلو متر عن البحر ويفصلها السور الصخري الكبير، لأن المدينة شيدت على الصخور. حين دخلت المدينة صدمت إذ رأيتها حطاما وخرابا. هذه اول مدينة تاريخية ازورها وهي ارض خراب عكس المدن التاريخية الاخرى. اطلال وبقايا من اثار التاريخ القديم وفي اعلى نقطة من مدينة بار الاثرية يمكن مشاهدة ابعاد المدينة الحديثة والبحر وكذلك التمتع بجبال (رومينيا). هذه المدينة كانت في القرن الحادي عشر مكانا آمناً لقداسة البيشوف. أما سواحل المدينة فكانت المكان الآمن لإقامة الفرسان في الجبل الاسود. وما يمكن مشاهدته الان لا يتجاوز سوى القلعة وسور المدينة والقصر والكنائس. لقد كانت المدينة من 1571- 1878 تحت سيطرة الاتراك وبعد دمار المدينة انتقل سكانها للعيش في المدينة الجديدة. ومنذ عام 1979 وبعد الزلزال الكبير، لم يبق منها سوى انقاض وحطام وخراب. في المدينة القديمة بقايا كاتدرائية القديس (جورج) شيدت في القرن الثاني عشر على انقاض كنيسة (تيودور). ما بين القرن السادس والعاشر وفي عام 1649 غدت جامع السلطان احمد. وفي عام 1881 تم تفجير الجامع خارج اسوار المدينة القديمة تكثر اشجار الزيتون وعمرها اكثر من 1000 عام حسب اقوال سكان المدينة، وقد اتخذت قاماتها شكلا تاريخيا. التجول في المدينة القديمة وبين بقايا الاثار والتاريخ القديم محل انطباع وانبهار. عبر ازقتها الضيقة اكوام الحجارة وسلالم حجرية وقصور مهدامة وحمام تركي، ولكن برج الساعة مازال شامخا والأشجار بدل البيوت تنمو وتكثر بين بقايا اثار التاريخ .

خرجنا من مدينة (بار) وبمحاذاة سلسلة جبال (رومينيا) اتخذنا طريقنا صوب مدينة (اولسين) لاستراحة قصيرة. هي ذات اغلبية البانية. أول ما شاهدته منذنا جامع المدينة شاهقة في مركز المدينة. والجزء الاكبر من المدينة تم انشاؤه بعد عام 1979 اي بعد الزلزال. الشاطئ طوله 30 كيلومترا وعرضه 50 مترا .

السياحة الاخيرة في ساعات الغروب الاخيرة وآخر يوم لنا في جمهورية الجبل الاسود. كان السفر ما بين جبال الجبل الاسود ووصولنا لأكبر بحيرة في البلقان وهي (سكادار)، وتعد من الاماكن السياحية والجميلة. لحظات حلوة حين تعكس الشمس شعاعها الاخير في البحيرة وجمالها يترك الاثر في الذاكرة. بعد ايام في جمهورية الجبل الاسود عدنا الى محل اقامتنا لنعد حقائبنا كي نرجع ثانية الى كرواتيا وجزرها، بعد انسجام روعي مع شواطئ البحر والجبال السوداء والقرى الحجرية والمدن التاريخية في تاريخ الانسانية. ومن الجبل الاسود صوب كرواتيا تستمر الرحلة.

جمهورية كرواتيا جزيرة كورجولا

من الجبال السوداء الى مسقط رأس الرحالة(ماركو بولو) جزيرة (كورجولا).

صباحاً، ومن اراضي الجبل الاسود انطلقت حافظتنا العملاقة صوب جزيرة تاريخية من الزمن المنصرم ومنسية في زمننا الحاضر. انها جزيرة (كورجولا) موطن ميلاد الرحالة والمستكشف العالمي(ماركو بولو). ودعنا جمهورية الجبل الاسود وجبالها القائمة والشاهقة لندخل الحدود الكرواتية والشارع الموازي للبحر الادرياتيكي الذي يمنح الهدوء للروح بعيداً عن سوداوية جبال شاهقة. نجتاز مدينة (دوبروفنيك) التي زرناها كي نصل قرية صغيرة اسمها (ستون)، عدد نفوسها 750 نسمة، تبعد 59 كيلومتراً في الشمال الغربي من (دوبروفنيك)، كانت لها اهمية كبيرة في تصدير الملح. في عام 1333 شيد لها سور طوله خمس ونصف كيلومتر والسور قائم لغاية اليوم. والان تعد قبلة متذوقي السمك لذا قصدناها من اجل وجبة غداء السمك والقواقع. هنا توجد اطيب المأكولات البحرية في كرواتيا. السور والشاطئ من الاماكن الجميلة وأمتعها.

بعدها انطلقنا وعبرنا المدن الصغيرة والقرى وكان يوم جمعة حيث الفلاحون يحترمون الارض ويمنحونها استراحة ولا يعملون. عبرنا بسفينة كبيرة تحمل السيارات والبشر لنحط رحالنا في جزيرة (كورجولا).

جزيرة(كورجولا) يبلغ عدد نفوسها في الوقت الحاضر 18 ألف نسمة بعد ان كان لغاية الحرب العالمية الثانية يبلغ 40 ألف نسمة. تضم هذه الجزيرة التي تقع في اقليم(دالاماتيان) اعداداً كبيرة من الكروم وقرى صغيرة رائعة الجمال بعضها خراب وحطام . كانت الجزيرة منذ الازمنة المنصرمة مشيدة من الحجارة. اليونانيون هم اول من سماها (كوركيراميلانا). المدينة القديمة كانت اول مراكز الاستيطان. رصفت الشوارع بالمرمر، وعلى طول الشاطئ شيدت البنايات. تعد جزيرة (كورجولا) سادس اكبر جزيرة في الادرياتيكي وطولها يبلغ 47 كيلومتراً وعرضها من 5 الى 8 كيلومتر.

اكتشفت الجزيرة في القرن الثالث ق.م وغزاها الرومان في القرن الاول الميلادي والسلافيون في القرن السابع وبعدهم الفينيقيون. في عام 1797 غزا نابليون اقليم دالاماتيان وكذلك كانت الجزيرة تحت سيطرة الانكليز والنمسا. عام 1921 صارت الجزيرة ضمن يوغسلافيا السابقة. واكتشف فيها مغارة كبيرة تدل على ان الاليريين سكنوا الجزيرة في العصر الحجري القديم. تقع في الجزيرة 12 قرية ذات تصميم تاريخي واثري من الحجارة وبعضها شيدت مخفية عن القراصنة وكانت الجزيرة مشهورة بالبحارة. توجد سواحل كثيرة في الجزيرة ولم تكن مسكونة. ومن اعلى قمة في الجزيرة يمكن مشاهدة الجزر. شوارع الجزيرة شيدها الامبراطورية النمساوية. على سفوح الجبال تكثر الاعشاب والبحارات. اما شواطئها فصخرية وأول مهنة للجزيرة كانت مع الحجر الجيري.

شهرة جزيرة(كورجولا) جاءت من الرحالة والمستكشف الذائع الصيت(ماركو بولو) حيث أنها موطن ميلاده وبالرغم من ان هناك دارا في البندقية سميت بدار ميلاد(ماركو بولا) لكن الفينيقيين انفسهم

يعترفون بأن (ماركو بولو) ولد في جزيرة (كورجولا). ولد الرحالة (ماركو بولو) عام 1254 في قلب المدينة القديمة في الجزيرة وبعد عودته من الصين جلب تجارب رحلاته من الشرق للغرب وكي تتعرف الحضارة الغربية على الحضارة الشرقية وتلك البلاد البعيدة وهذا ما ذكره في كتابه.

يبلغ عدد نفوس المدينة القديمة اليوم 3 آلاف نسمة. وما زال المرمر اللامع يزين شوارعها. تنبأهي المدينة بصوف من الابنية القديمة من زمن اسلوب عصر النهضة والأسلوب الغوتي. يؤدي الشارع المرمرى الى السور، وما زالت ثلاث مدافع قديمة موجهة فوهاتنا الى البحر للدفاع عن المدينة. الازقة القديمة والضيقة ذات طابع معماري متميز ودور المدينة ذات سقوف حمراء، وبعض الدور بطابوق احمر. في مركز المدينة ايضا برج الساعة والسلالم الحجرية التي تؤدي الى البوابة الرئيسية .

تطل المدينة على ساحل جميل وتنتشر المقاهي على جوانبه. في القرن 13 كانت اسوار المدينة تحميها من الغزوات. واليوم السور والبرج هما محل الرومانسية والانبهار للزوار. ساحة الكاتدرائية وكاتدرائيتها (ماركوس) شيدت في القرن 15 على اسلوب عصر النهضة والغوتي من الحجارة الجيرية واجراس البرج تعلقو على الجزيرة كلها. يقع ايضا في المركز متحف المدينة ويعرض تاريخ الجزيرة وتطور النحت وصناعة السفن بالاضافة الى قطع اثرية ضمن علم الاثار. ويعرض ايقونات بيزنطينية على الخشب بخلفيات ذهبية من القرون 17-18. اشتهرت هذه الجزيرة بالحجارة لذا فإن اكثر المدن التاريخية القديمة شيدت من حجارة الجزيرة ومنها (دوبروفنيك، فيرينك). وكذلك خرج منها امهر البنائين والمعماريين والاساتذة في مهنة الحجارة. ومن زمن الامبراطورية النمساوية اشتهرت باشهر انواع النبيذ الاحمر لانها تضم مساحة كبرى من الكروم. اشتهرت الجزيرة ايضا بعلاج امراض الروماتيزم وكان المرضى يأتون من كل انحاء اوروبا للعلاج فيها. تكثر فيها ايضا اشجار الزيتون. في قرية (فيلا لوكا) القرية التي تقع بالقرب منها مغارة (الاليريين) وقد عاش فيها اكثر من 3 آلاف شخص. وفيها ايضا معمل كبير لصناعة القوارب والاجزاء الاحتياطية لها .

التقيت الكاتبة والادبية الكرواتية (ايفيسا دوخوفيج - زانكيچ) التي تكتب عن الجزيرة وعن الكتاب والأدباء الناطقين بالالمانية الذين لعبوا دورا في الجزيرة وترجمت اعمالهم الى الكرواتية. دار بيننا الحديث حول دور ادب الرحلات والثقافة والترجمة في مد جسور الانسانية وللأسف كانت معلوماتها عن الكورد قليلة. لكني تحدثت لها عن تاريخ الكورد بصورة مختصرة وفرحت بوجودي في جزيرتهم. وللكتابة خمس كتب حول الجزيرة.

بدأت السياحة في الجزيرة مطلع الستينيات، لكن السياحة القديمة كانت عبر السفن التجارية القادمة من البندقية وتريست لغاية (كوتور) في الجبل الاسود. كذلك كانت الثقافة هي التي تربط الجزيرة بالعالم وبالأدباء والفنانين في اوروبا.

عشق الكاتب النمساوي (تيودور شيف) اقليم (دالاماتيان) واحب فتاة من مدينة (سبلايت) وعاش في الاقليم. وبعد ان رجع الى فيينا عام 1875 كتب كتابا حول الاساطير والملاحم في اقليم (دالاماتيان). في بداية القرن العشرين وفد اليها مجموعة من الادباء والفنانين الألمان وبعدها توالت الوفود الثقافية على الجزيرة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

رحلة جميلة الى اشهر جزيرة على الاطلاق بالرغم من انها ظلت منسية كما قاله الكاتب النمساوي (تيودور شيف) في كتابه (من بلاد منسية). لكنها ستظل خالدة في فكر كل من زارها ويزورها

ويعشق هذه البلاد التي انجبت اشهر رحالة العالم (ماركو بولو).ومن جمال ورومانسية وبحر وشطآن جزيرة(كورجولا)تستمر الرحلة.

القسم العاشر والاخير

جمهورية كرواتيا

السفر من جزيرة (كورجولا) وبالسفينة الكبيرة متعة ولفترة قصيرة في البحر مرورا بجزر صغيرة. كانت الامبراطورية النمساوية اعدت هذه الجزر بصورة لائقة وجميلة ويمكن استنجاز بعضها. وفيها منارة الضوء عن طريق الانترنت.كان السفر بالعبارة الكبيرة على مرحلتين كي نصل الشارح الساحلي الرئيس على البحر الادرياتيكي. ترافق الرحلة مناظر خلابة وعلى الشواطئ حيث حركة الاعمار والبناء مستمرة لأجل استقبال المصطافين والزوار. الاشجار غدت مظلات تقي الزوار حر الصيف. عبرنا المدن ومنها (اوميش)والقرى الصغيرة. إلى اليسار يقع البحر وإلى اليمين تقع الجبال الصخرية. خلال الرحلة من جزيرة عشنا فيها يومين وتجولنا في قراها الحجرية والتاريخية الى مدينة (سبلايت) ،عرفنا كيف جعل الكرواتيون من بلادهم جنة حقيقية. شيدت الشوارع على سفوح الجبال وجسور معلقة. هذه المناظر اشبه بالخيال والحلم الجميل والبحر الازرق الصافي والقوارب الشراعية والسفن العملاقة. رحلة الى مدينة (سبلايت) موطن ميلاد اشهر نحاح في العالم(ايفان ميسترويج).وكذلك على السواحل قرى حجرية ولكنها مهجورة ومنسية.

مدينة (سبلايت)..تعد مدينة (سبلايت) ثاني اكبر مدينة كرواتية واكبر مدينة في اقليم (دالاماتيان). في مركز المدينة يقع قصر(ديوكليتيان) الذي شيد ما بين الاعوام 259-356. صمم القصر على شكل قلعة رومانية لحماية القياصرة الرومان. امضى القيصر سنوات عمره الاخيرة فيها. بني القصر على شاطئ البحر وعلى شكل مربع ولكن ليس بدقة المربع وتساوي الاضلاع. في القرون الوسطى شيدت البيوت حول القصر ونمت حركة الحياة فيها. زود القصر بأندر التحف وشيد على اساس تحفة معمارية خالدة لهذا ضم الى سجلات الارث العالمي باليونسكو عام 1979. إنها المرة الثانية حين ازور المدينة تهطل الامطار بغزارة. وفيها متاحف كثيرة ومنها دار النحات (ايفان ميسترويج) والذي غدا متحفا باسمه.

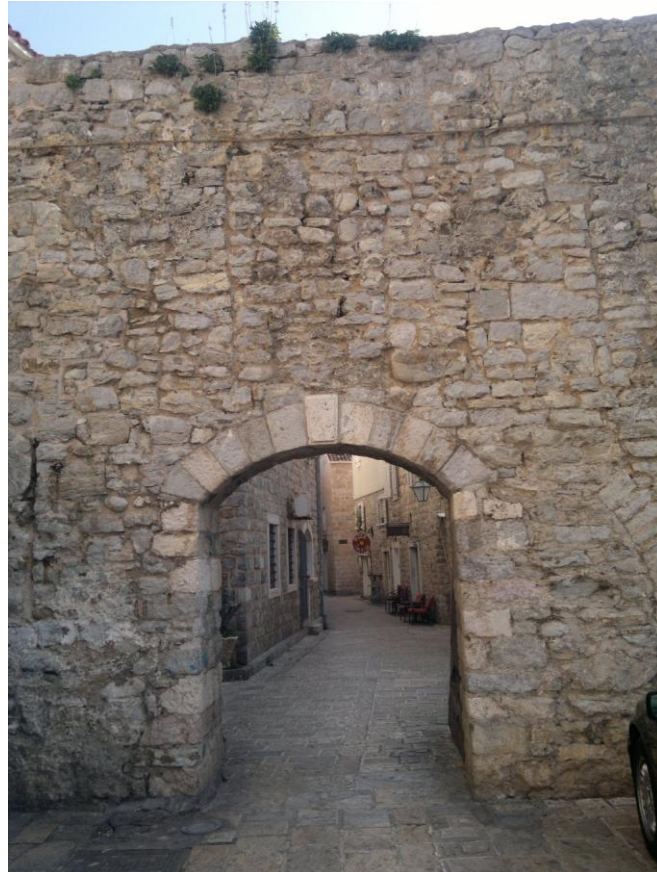
زيارتنا لمدينة (سبلايت) كانت عابرة ثم سلكنا الطريق صوب جزيرة (تورغيا). شيدت المدينة القديمة في هذه الجزيرة في القرن الثالث قبل الميلاد ويربطها باليابسة جسر صغير ،يبلغ عدد نفوسها 16 ألف نسمة يحيطها سور كبير وكان الرومان قد شيدهوا واتخذوا المدينة للسكن.تعد الان تحفة معمارية خالدة.مدينة بأزقة ضيقة وهو اسلوب فن العمارة لأزمنة القرون الوسطى. ومن الاماكن المهمة فيها هناك المتحف الذي يقع في احد القصور القديمة ويحتوي على خمس صالات تضم الكتب والوثائق والملابس التاريخية وتاريخ تروغيا الطويل. اما كاتدرائية (سفيتوك لوفري) فشيدت على الاسلوب الفينيسي المتميز بوجود تمثالي اسدين على بابه. وشيدت ما بين القرنين 13-15 .

تعد دار المحافظة في الجزيرة من اجمل البنايات في كرواتيا وشيدت في القرن الخامس عشر وفنأوها على الاسلوب الغوتي. المدينة القديمة بأجمعها تترك لدى الزائر انطباعا باهرا وجميلا. يقام في هذه

المدينة عددا من المهرجانات الفنية والموسيقية وتكثر فيها ايضا الازقة الضيقة والمقاهي والحوانيت والمطاعم التي تقدم وجبات كرواوية للزبائن. بعد جولة في المدينة القديمة سلكنا طريقنا كي نرقد اخر ليلة لنا في قرية تاريخية للصيادين وهي(بريموشن)ومعناها عند الجسر. فيها تكثر الازقة من القرون الوسطى. القرية لا تبعد عن الجزر كثيرا. فيها ايضا برج كبير بأجراس ضخمة وحين تدق الاجراس يستقيظ اهل القرية كلهم ان كانوا نياما. هذه القرية تذكر الزوار بمدينة (روفين).مقابل شاطئ القرية تقع انصاف الجزر. كذلك شيدت اعدادا كبيرة من الفنادق الضخمة .كم كنت اتمنى ان ازور الجزيرة التي كان يعيش فيها الزعيم التاريخي ليوغسلافيا السابقة(تيتو)وفيهما كان يستقبل زواره والطلبة المتفوقين في الدراسة ويقضي يومه مع الطلبة ولكن لم تسنح الفرصة ولا الوقت...ربما في المستقبل.

رحلة بدأت بوجع انساني والم من الصعب نسيانه لأنه طبع بعمق في الوجدان. طبيعة بوسنية خيالية بالاضافة الى فن العمارة الاسلامي والفينانوي في سراييفو وموستار، ومنها الرحيل الى جبال سوداء شاهقة جلبت الرعب الى قلبي وقممها الشاهقة، والتنزه على شواطئ البحر الادرياتيكي ومدن التاريخ القديمة ومنها (دوبروفنيك)والى موطن الرحالة الخالد(ماركو بولو)وتاريخ الرومان في مدينة (سبلايت). اما (سراييفو)و (موستار) ومقابرهم البيضاء ستظل مكانتهم في القلب ومأساة (سراييفو) ونهر فيرباص الخيالي والطبيعة التي يصعب وصفها. وبعدها الطريق الطويل الى النمسا مرورا بعاصمة كرواتيا(زغرب).

أتمنى أن أكون نجحت في أن انقل لقرائي شيئا من بلاد منسية سمتها الممثلة والمخرجة العالمية (انجيلينا جولي)بلاد العسل والدم في فلمها.وأنا شارد الذهن على طول الطريق بأيام رائعة قضيتها فيها ولقرائي وشعبي محبتي التي لا تشيخ وسفرااتي ورحلاتي وانتهت الرحلة.















الصور بعدسة الكاتب